

القرآن

أصل التربية وعلم النفس

القرآن أصل التربية وعلم النفس

أحمد جهان الفورتية

الطبعة الأولى:

1994 م

حقوق النشر محفوظة للناشر

الناشر:

دار الملتقى للطباعة والنشر

ليماسول - قبرص

ص. ب: 6527

المحتوى

5	المحتوى
7	المقدمة
11	تعريف علم النفس
12	مدلول النفس
12	المدرسة القرآنية
14	القرآن والمشكلة
16	قاعدة التدرّج في التربية
19	موقف القرآن من الغرائز
22	المنهج القرآني يراعي ميول النفس البشرية
25	وتلك غريزة
27	منهج القرآن في ضرب الأمثال
29	تنوع الوسيلة
32	المنهج القرآني والبيئة
36	المنهج القرآني والنماذج الإنسانية
44	الرحلة العلمية
48	التربية بالقدوة

55	المحاكمة
58	أنشودة العمل
60	الذئب البريء
62	التقرير الوافي
64	الحكم بالبراءة
65	الخطة الاقتصادية المتكاملة
67	التطبيق العملي
68	الفروق الفردية
77	التوجيه خلال الممارسة
85	التوجيه في مجال الدفاع عن العقيدة
90	الرؤيا المنامية
103	مواقف للتمحيص والابتلاء
108	التوجيه في ميدان النفس
113	المنهج القرآني والواقع البشري
122	اللائحة التنظيمية للاجتماعات
127	والله لا يستحي من الحق
130	القيمة التربوية المستخلصة مما تقدم
134	درس المناجاة
136	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
140	حقيقة الانسان
144	وصفات الشفاء
153	في محيط الأسرة
157	قافلة الايمان
161	المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذه المحاولة التي اقدمها لأخي القارئ الكريم هي محاولة متواضعة دفعني إلى القيام بها ما لاحظته من خلال اطلاعي على بعض كتب التربية وعلم النفس أن كثيراً ممن تناولوا هذا العلم بالدراسة والبحث كانوا مقتنعين بأن وضع قواعده قد تم على يد علماء الغرب، ولم يقف هذا الاقتناع داخل دائرة الباحثين والدارسين بل انتقل إلى أبنائنا الطلبة عن طريق المناهج الدراسية التي ما فتئت تؤكد - بإصرار - بأن فضل السبق كان لأولئك العلماء.

ولقد كنت أستغرب عندما أقف مع أبنائنا الطلبة على بعض النقاط في مقرراتهم: كطرق التدريس، والتربية وعلم النفس، فألمح الإصرار على ما ورد فيها بادياً لا يقبل التحوّل، ولهم في ذلك عذرهم: فهي مقررات المناهج الدراسية.

أما أنا، فأجد نفسي مضطراً إلى تذكيرهم بأن أصول هذا العلم موجودة في القرآن الكريم، فما عليهم إلا أن يرجعوا إليه للاعتراف من معينه واستخراج كنوزه التي لا ينفذ لها مدد:

﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مِدَادَ لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَعْنَا لِنَجْمِ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَعَنَا كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ مَدَدِ آدَمَ ﴾ (1)

ولعل القارئ يجد في ثنايا محاولتي هذه قيساً من دليل يهديه إلى أصول ذلكم «العلم» فقد بذلت قصارى جهدي في الكشف عنها من خلال القصص القرآني ومواقف الرُّسل مع قومهم مبرزاً بعض القضايا الإنسانية التي تمسّ النفس مساً مباشراً فتكشف أبعادها.

ثم عمدت إلى توضيح بعض خصائص المنهج القرآني في تناوله لتلك القضايا، فمنها:

- 1 - إن المنهج عندما يسوق الأمثلة يسوقها في ثوب يثير الإعجاب؛ ليوثق في النفس غريزة «حب الاستطلاع».
- 2 - إن المنهج يؤثر أن تكون الوسيلة التعليمية - في الغالب - خارجة عن محيط ذات المتعلم لكي تتاح له فرصة التمكن من المشاهدة والإلمام بالكليات.
- 3 - يستخدم المنهج عناصر البيئة لإبراز المعاني وتشخيصها لينبته العقل إلى أن منافذه الكاشفة لتلك الحقائق إنما هي الحواس.
- 4 - يختار المنهج النماذج الإنسانية ذات التجارب المفعمة بألوان الكفاح لتكون قدوة يُقتدى بها. وهذه الخاصية من أهم الركائز الأساسية في مجال التربية والتعليم.
- 5 - المنهج القرآني يتعامل مع الواقع البشري ولكنه لا يقر التمادي والغلو في الآفاق البشرية.
- 6 - المنهج يحيط بالذات البشرية في مختلف مواقفها في مجالات الحياة.
- 7 - يتجنب المنهج الحرج ويسلك قاعدة التيسير والرفق.

(1) سورة الكهف، الآية: 104.

وفي الختام أود أن أنبّه إلى أن ما ذكرته إنما هو قطرة من بحر أرجو أن تكون - إن بلغت مقدار قطرة - توطئة لغيث عميم يغمر ساحة الدارسين والباحثين ممن تخصصوا في مجال التربية والتعليم؛ ليصبح منهج القرآن الكريم رائداً ومصدراً.

«وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

المؤلف

1991 م

تعريف علم النفس

إن علم النفس كعلم مستقل متميز من غيره لم يظهر إلا متأخراً؛ فقد ظلت جهود الباحثين تبذل منذ القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر حيث برز علم النفس ككائن حي له هيكله وجسمه، وعندئذ وقف شامخاً يرتاد كل الميادين، ويغشى مجالات الحياة؛ لأنه العلم الذي يتناول بالدرس والبحث والتحليل خلجات النفس البشرية متتبعاً خطواتها في رحلتها إلى أن تصبح عملاً، وحركة، وحياة.

فبحث هذه الظواهر هو ما يعرف اليوم بـ «علم النفس»، إذن ما هو «مدلول النفس»؟:

وقديماً قيل عن حقيقتها: إنها الجوهر الحق، أما الجسم بالنسبة لها فلا يعدو كونه وعاء ومحلاً تستقر وتحلّ فيه كما يحلّ الماء في الإناء.

ومن العلماء من رأى أن الجسم أصل لكل ألوان النشاط الحيوي من فكرٍ وحسٍّ وإدراكٍ وتذكيرٍ وانفعالٍ، وليست النفس إلا انعكاساً لمثل هذا النشاط الصادر عن الجسم.

وقد ورد ذكر النفس في القرآن الكريم في مواضع كثيرة فبلغ أربع عشرة وثلاثمائة مرة.

أما مدلولها في القرآن - حيث وردت - فإنه يتحدّد بسياقها ولا يخرج في وضوحه عن كونه يشمل الذات والنفس معاً حيث مستقر العقل والعقل منطلق الحركة الفكرية، ومناطق التكليف وهو ذو الإرادة المميزة المختارة التي ألهمت طريقي: الخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّلَتْهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿(1).

والنفس قد تطمئن فتفوز بخيري: الدنيا والآخرة، فترضى بثواب ربها حيث تنال رضاه.

أما التي تكثر اللوم؛ فهي دائماً تبحث عن الأفضل وتسعى حثيثاً لتحصيل ما يسعدها في الدنيا والآخرة.

وحيث تقف الذات موقف المتبريء من النفس لكثرة أمرها بعمل السوء وإلحاحها المتكرر وانجذابها نحو الشهوات الواقعة في دائرة الشرّ قد يحدث عندئذ الانفصال وعدم الانسجام والتناسق. ففي هذه الحال يؤذّن لعوامل التقويم والتربية أن تتدخل وتبحث بشتى الطرق عن الوسائل التي تحمل بين طياتها عناصر التوجيه المثمرة.

المدرسة القرآنية:

ومن ثم ندرك - جازمين - أن المدرسة القرآنية التي تربي فيها رسولنا محمد صلوات الله عليه قد وضعت منذ البداية - بداية الدعوة - أسس المبادئ النفسية لتكون منهالاً ينهل منه البشر، ومنازة يهتدي بنورها السائرون على درب الهدى واليقين. فمحمد عليه السلام لم يكن يعرف مما سيقدّم إليه في تلك المدرسة، ولكنه هُيئ حتى يكون على استعداد.

بدئت إرهابات النبوة بالرؤيا الصالحة، وقد لزم «غار حراء» يتعبّد فيه الليالي ذوات العدد في خلوته تلك، وفي فصله المدرسي ذاك وجبريل عليه السلام يياشر مهمته التعليمية الأولى ينزل؛ ليعلم محمداً كيف يقرأ؟

(1) سورة الشمس، الآيات: 7 - 10.

ومحمد لم يكن يعرف القراءة ولم يكن في حياته قد أمسكت يمينه بالقلم، ولم يكن في مقدوره في تلك اللحظة أن يعرف عمن طلب منه أن يقرأ شيئاً.

استفسارات متنوّعة، ورغم ذلك يظلّ جبريل منذ اللقاء الأول يكرر كلمة ﴿إِقْرَأْ﴾ وفعل الأمر مقتضاه: أن ينفذ المطلوب ما طلب منه: أن يقوم، أن يتحرّك، أن ينطق، أن يؤدّي أي شيء، ولكن محمداً لم يمكنه إلا أن يرد: «ما أنا بقارئ».

لحظات تمرّ خفافاً أم ثقلاً؟ لا أحد يدري غير أن اليأس لم يجد سبيلاً الى النفوس، ثم يقرأ محمد: ﴿إِقْرَأْ يَا أَيُّهَا الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ (1).

في هذا الموقف كررت كلمة القراءة عدة مرات؛ ليكون التكرار قانوناً يحكم الربط بين المؤثّر والاستجابة، وليزداد الشوق والتشويق حتى يبلغ أقصى درجات التلهف إلى ما تتوق إليه النفس المتعطشة إلى الاطلاع على دروب المعرفة الإلهية.

ومن خلال هذا القلق، تتمّ عملية الوحي في جوّ من المعاناة والضغط حيث يخرج منها النبي وجبينه يتفصّد عرقاً، وجسمه يرتعد؛ ليحسّ بعد ذلك بأنّ للإعداد لمثل هذه المهمة لذة وتمعن يدركها المُعدُّ حيث يقف لتأدية الرسالة التي أنيطت به.

ومن ثم ندرك - مع الفارق - مدى صعوبة العملية التعليمية دراسة وزمناً؛ فقد استغرق نزول القرآن مدة ثلاث وعشرين سنة وبالقياس - إن صح - نستطيع أن نقول: إنها المدة التي ينهي فيها الطالب مرحلة تعليمه العالي «الجامعي».

(1) سورة العلق، الآيات: 1، 2، 3، 4، 5،

ولقد كان يتخلل هذه المدة فترات ينقطع فيها الوحي على النبي: محط زمني؛ لينبته النفس البشرية إلى تأكيد وترسيخ عنصر التشويق الذي استخدم كعامل مهم جداً، بل ضروري - في مجال التعليم يفتتح به المعلم درسه؛ لينجذب طلابه إلى ما يقول - فيكون بذلك أشد انتباهاً وأعمق يقظة.

وقد يكمن عنصر التشويق هذا في مشكلة من المشكلات التي تمس واقع الإنسان المعاش، عندئذ يبرز الجانب التطبيقي بالممارسة العملية في إبان وقوعها، حيث تلفت النظر وتوقظ العقل وتحرك الوجدان، وتثير التساؤلات والاستفسارات ذات الدلالات المعرفية التي قد تتفرع منها ألوان متعددة تهدي - ملحة - إلى التطلع المتلهف إلى قبسات الحل الإلهي.

القرآن والمشكلة:

من القرآن ما كان لنزوله سبب: وهو وقوع المشكلة التي تعترض حياة المسلم؛ فيقف عندها العقل البشري حائراً؛ فلم يجد لحلها من سبيل ولا ملجأ يلجأ إليه سوى أن يهرول ساعياً إلى النبي سائلاً شاكياً، وما عند النبي من جواب غير أنه يملك الترقب والانتظار وربما تطول الوقفة أو لا تطول، ولكنها وقفة المتعلم تحمل في طياتها التوتر والقلق:

إنها اللحظة التي تسبق لحظة الوصول إلى الهدف والهدف إنما يعني: الارتياح والغبطة بلذة الظفر باكتشاف المعرفة من بين حنايا المجهول.

والنظرية التربوية الحديثة تقول:

«إن الانفعال والتوتر الخفيف ضروريان للعملية التعليمية» حقيقة لا ينكرها أحد؛ فهي في نفسه، يشعر بها قلقاً وتوتراً إذا استغلق عليه أمر أو عجز عن إيجاد حل لمشكلة.

فالمشكلة إذن هي امتداد للحياة المنتجة، وهي أيضاً أم التفكير والدافع القوي إلى استخدام العقل، والمنتهى الحقيقي له من غفوته ولو لم توجد لركد وخمل.

ففي القرآن الكريم أمثلة كثيرة تؤكد منهجه التربوي: منها: هذه «خولة بنت ثعلبة» تأتي النبي شاكية سائلة تعرض مشكلتها التي تتلخص في أن زوجها «أوس بن الصامت» قال لها - وهو في حالة غضب - «أنت عليّ كظهر أمي» وكان هذا القول في عرف الجاهلية يحرم الزوجة تحريماً أبدياً. المشكلة وقعت، والنبي لم يجد حلاً سوى قوله: - «ما أراك إلا قد حرمت عليه».

وخولة لم تقتنع فطلت تراجع وتحاور وتجادل وتشتكي إلى الله والله يسمع المحاورة والمجادلة إلى أن نزل الحل واكمل الحكم قرآناً يُتلى ونصاً مفضلاً يرجع إليه البشر في قضاياهم الاجتماعية:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (1).

وهذا «هلال بن أمية» يرجع من أرضه عشاء فيجد من زوجته ما يسيء فينطلق إلى النبي قائلاً يا رسول الله: - لقد رأيت بعيني وسمعت بأذني، ولكن النبي يقول له: «البينة أو حدّ فيه ظهرك».

وماذا يفعل هلال؟ أي بينة هذه والأمر قد انقضى؟ الحد إذن؟

ويصرّ هلال على موقفه مخاطباً رسول الله: «والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرىء ظهري من الحد».

فنزلت آية اللعان تبرئة لظهر هلال وتأكيذاً لصدقه: ﴿ وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَرَأَىٰ لَبَدًا لَّهُنَّ الْوَصِيَّةُ وَالْعَنَاءُ لَبَدًا مَّا بَشَرُوا لَبُودًا فَلَئِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (2)

بذلك هدأت نفس هلال وسلم ظهره وتقبل الحكم بارتياح، فالحل الإلهي قد أتى بمثابة البلسم: فكان عميق الأثر في نفس هلال كما جعله شديد الإحساس بقيمة الصدق، فياض الشعور بالاعتزاز والثقة بالنفس؛ فهو كجائزة

(1) سورة المجادلة، الآية: 1.

(2) سورة النور، الآية: 6.

قدّمت للمتعلّم والمعلّم لتؤكد العلاقة بين الاستجابة والارتياح، وكومضة من مضامير التوجيه الإلهي التي ترشدنا إلى رفعة وسمو هذا المبدأ النبيل، مبدأ اللين والحكمة والجدل الهادئ الرفيق لتستميل القلوب نحو تقبل ما ترى فيه النفع والفائدة والنجاة، وتستجيب النفوس لما يُلقى إليها من جميل القول وحسن التوجيه: ﴿فَمَا زُحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَلَقْنَا قُلُوبَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾

قاعدة التدرج في التربية:

تتمثّل هذه القاعدة التي أقرت كمبدأً أساسياً في العملية التعليمية في كونها تبدأ بالسهل ترويضاً للنفوس إلى أن تصل في مراقبها أعلى درجات السلم التعليمي.

وإن أسمى منهج تربوي قد سلكه القرآن الكريم في هذا المجال حيث تدرّج في أحكامه خطوة خطوة مراعيّاً في ذلك مدى إلف الناس لعاداتهم الاجتماعية ومقدار امتزاج نفوسهم بها، كتحرّيم الخمر مثلاً؛ فقد كانت زينة مجالسهم، ومصدر علاقاتهم وسبيل أنسهم، ودعامة متينة من دعائم صداقاتهم، مدحوها في أشعارهم، وأثنوا عليها في أدبهم واعتبروها ملهمتهم روعة الفن ورقة العاطفة. كانوا يرون، أن سعادة حياتهم بها ولها؛ لذلك نرى القرآن الكريم تجنّب أن يصبّ حكم التحريم دفعة واحدة: لأن مدرسة التربية الإلهية تحرص كل الحرص على ملاينة المرئبي وأخذه بالرفق والحسنى ليأنس إلى المُتلقى عنه طيب النفس راضياً.

فقد روي الإمام أحمد عن أبي هريرة قال:

«قدم رسول الله ﷺ المدينة - وهم يشربون الخمر ويمارسون الميسر - فسألوا رسول الله عنها، فنزلت الآية:

(1) سورة آل عمران، الآية: 159.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ
وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴿٩١﴾ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (1).

قال الناس: - ما حرمت علينا إنما قال: - إثم كبير. وكانوا يشربون الخمر
حتى كان يوم فصلى رجل من المهاجرين وأم الناس في صلاة المغرب فخلط
في القراءة.

فأنزل الله آية أغلظ منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (2).

ثم نزلت آية أغلظ منها أيضاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٤﴾﴾ (3).

ثم يرد التعقيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٥﴾﴾ (4).

إذن؛ فالمشكلة قد حلّت حلاً نهائياً بعد أن أرقت المسلمين وشغلت
أذهانهم فترة زمنية مرت بدقائقها وساعاتها مثقلة بالقلق والحيرة والترقب
والانتظار.

إذ الآية الأولى وردت إجابة عن سؤال ملح نابع من قلوب يعمرها الإيمان؛
قارنت وقاست وقدّرت تقدير من ينشد استيفاء المعلومة واستكمال حيثيات

(1) سورة البقرة، الآية: 217

(2) سورة النساء، الآية: 43.

(3) سورة المائدة، الآية: 92.

(4) سورة المائدة، الآية: 93.

الحكم، فوجدت بعد هداية أن الإيمان الكامل لا يلتقي مع الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.

كيف يلتقي الطهر والنقاء مع الرجس في مكان واحد؟ في وعاء يحمله المؤمن؟

النظرة الذكية السليمة أدركت هذا فكانت الإجابة: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾⁽¹⁾.

إنها التهيئة والاستعداد، تلك هي المرحلة الأولى، بُدئ الدرس فتفتحت أذهان كثير من الصحابة، تنبهوا إلى خطر هذه العادة على إيمانهم فأقلعوا وابتعدوا عن مواقع الشبهات وتجنبوا أمّ الخبائث.

أما من لم يستفد من بداية الدرس، فإنه قد وقع في محذور، إما لأن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك؛ ليكتمل الدرس أو أن تمكّن العادة تلك قد كان متنوعاً في مستواه.

وعلى أية حال، فإن الذي وقف بين يدي الله في صلاته لم يدر ما يقول. من أجل ذلك ينتقل الدرس الإلهي إلى المرحلة الثانية ليضيّق الدائرة الزمنية على من لا يرى أن الأمر لم يحسم بعد.

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾⁽²⁾.

ويستمر الدرس في متابعة القضية. فمرحلة الحسم النهائي تأتي بعد التهيئة الكاملة التي جعلت النفوس تتلهف لحل المشكلة كما ارتآه الدرس الإلهي حيث نُحتم كما بُدئ بالتشويق، منافع في أول اللقاء ثم فلاح وفوز في الوداع. إنها التربية الإسلامية والمنهج المتكامل الذي يتلاءم مع النفس البشرية في صعودها وهبوطها، ونموها وتوقفها، ورفضها وخضوعها، وحركتها وسكونها، وقلقها وهدوئها.

(1) سورة البقرة، الآية: 217 .

(1) سورة النساء، الآية: 43.

إن المنهج يضعها في المحكّ العلمي حيث تجابه مشكلات الحياة لتدرك قيمة القلق الإيجابية الظاهرة بالنصر وتعي جيداً كل احتمالات الفشل؛ لتتغلب على عوامله، وتسبر عمق الحياة بما فيه من متناقضات.

ولقد جاء علم النفس بتحليلاته فأثبت بأن للقلق قيمة إيجابية بالإضافة إلى آثاره السلبية؛ فهي عامل منشط إذا لم يتجاوز الحد المعقول.

إن المتعلّم إذا ووجه بواجبات صعبة تراءت له من خلالها بوادر الفشل؛ فإنها - حتماً - ستدفعه إلى مضاعفة الجهد والمثابرة وتركيز كل قواه العقلية ليستخلص لنفسه جائزة النجاح في مسيرة حياته الفضلى.

ومنهج القرآن الذي سلك مسلك التدرّج واليسر والسهولة فقد عمد أيضاً إلى متابعة النفس البشرية لتحيا في اتزان يكفل لها الصحة والعافية حيث صبغ أحكامه بصيغة الموعظة والنصح والإرشاد.

إيقاظاً للضمائر، وحثاً للهمم: يذكر العقاب الأليم ثم يسجّل في مقابل ذلك الثواب الوفير والجزاء الحسن حتى يكون المرء بين الخوف والرجاء معتدلاً متزناً في عواطفه وأمزجته، كابحاً لغرائزه، يوجهها إلى فعل الخير ويصرفها فيما يرضي الله.

ووقوف المرء بين جانبي الخوف والرجاء هو ما اصطلاح عليه العلماء المحدثون بتسميته «الصحة النفسية» فقد ذهبوا إلى أنها:

«التألف والتوافق مع المجتمع في القيام بالمسؤوليات والإنتاج» وما ذلك إلا ثمرة من ثمار التآرجح بين الخوف والرجاء الذي يوفر للفرد المعادلة والقوة اللازمة للانطلاق والخلق والتمتع والتكيف.

موقف القرآن من الغرائز

الغرائز:

هي قوى فطرية أودعها الله في الكائنات الحيّة لحفظ بقائها وإعدادها للنضال في بيئتها وتهيئة سبل العيش لها؛ فهي في الحيوان: ناطقاً وغيره. وإن

كانت في غير العاقل لا تقبل التهذيب ولا التعديل تؤدي وظيفتها تبعاً لدورها الذي رسمته لها الحكمة الإلهية.

أما في الإنسان، فهي قابلة للتعديل والتهذيب؛ لأن الإنسان قد كُرم وشُرف بحمله الأمانة رغم مشقتها وثقلها.

ومن الغرائز التي يجب أن تنطلق؛ لتدفع الظلم وتكبح جماح الشر، غريزة الغضب عندما يكون المحرك والمثير لها انتهاك حرمة من حرّمت الله؛ فموقف الغاضب هنا موقف إصلاحى محمود الأثر ممدوح العواقب.

أما فيما عدا ذلك؛ فإن التوجيه القرآني يُوجّه المسلم إلى كظم غيظه، بحيث يحول دون ظهور آثاره المدمرة؛ فهو لا ينفسي في علاجه صفة الغضب في جانبه الانفعالي الذي لا يمكن تعديله حيث سبر أغوار النفس البشرية فوجه تقويمه للجانبين: النزوعي والإدراكي.

وهذا ما أشار إليه علم النفس حين حلّل النفس بغرائزها، فوصل إلى النتيجة التي تؤكد مبدأ إمكان تعديل الغرائز في جانبها: النزوعي والإدراكي.

أما الجانب الانفعالي، فإنه لا يقبل التغيير: غير أن الأثر الناتج عن الانفعال - وهو المسمى بالنزوع - هو الذي يطرأ عليه التغيير والتعديل كما أن الإدراك الذي هو وليد الحواس يتغير كذلك.

والقرآن الكريم يوضح هذا المبدأ في منهجه التربوي، حيث جعل صفة كظم الغيظ من صفات المتقين، والتقوى هي الصحة النفسية التي تعني بمفهومها: الوسطية والاعتدال، فلا تطرف إلى حد الخطأ، ولا تذبذب إلى حد الإحجام، لا إفراط ولا تفريط. وقد سجلت الآية الكريمة هذه المعلومة بأسلوب بليغ مشوق، افتتحت بطلب المبادرة التي تدفع النفس إلى التطلع، وتحرك فيها غريزة حب الاستطلاع، تحفزها إلى السباق للظفر بما هو معد معروض: